Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صواب، هل يجوز لمثقف، ثورى مثلى كرس حياته لخدمة الجماهير والدفاع عن قضاياها أن يقف ضدهم؟».

هنا تقرب المسافة بأكثر مما ينبغى بين المتخيل الروائى والواقع التاريخى، فالمشهد والسؤال ليسا ممكنين فحسب طبقا لقوانين الاحتمال، ولكنهما واقعان فعلا، والمثقف الثورى لا يفصله أى بعد جمالى عن الكاتب والقارئ غالبا، مما يطرح إشكالية إجرائية، أو لنقل منهجية فى طرائق الإبداع، لأنه يغرى بمزالق خطيرة فى الإجابات المباشرة، لاعبر بنية النص ذاتها ومصائر الشخوص فيها، وإنما من خلال النقاشات الفكرية المطولة التى يمتلئ بها جوف النص وتنتفخ أحشاؤه.

من ناحية الصنعة القصصية هناك هيكل سردى يتمثل فى مجموعة من الأحداث المتوالية أو المتبادلة، تمضى فى اتجاه متصاعد أو متغير، لكنها تنتظم فى نسق جمالى متوازن، تحدث لشخوص تمتلئ رءوسهم بالأفكار والذكريات المتعلقة أيضا بأحداث، هذه الخيوط الحركية من وقائع ومجريات تمثل الجهاز العصبى بعلاقاتها ومركز البؤرة فى دلالتها، أى قلبها أو دماغها تبعا للبيولوجيا الحديثة، وإذا كانت الأفكار هى الهواء الذى يتنفسه هذا التركيب العضوى فإن طريقة دخولها إليه عبر آلية التذكر أو جدلية الحوار من شهيق وزفير هى التى تحدد مدى تخللها للنسيج الحى، فإذا ما تمددت بأكثر مما ينبغى أخلت بتكوينه، وقد عمد المؤلف إلى حشو روايته بعشرات الصفحات من الأفكار المتصلة بوضع المجتمع الجزائرى وتركيبيته الطبقية والثقافية، وقصة جبهة التحرير وتناقضاتها فى احتواء المشروع الوطنى بعد الاستقلال، وحتى يكون هذا الكلام قصصيا لابد أن يترجم إلى أحداث بسيطة لأفراد محددين فى لمحات خاطفة ودالة، أما أن يتضخم الخطاب الأيديولوجى داخل السرد هكذا فإن ذلك يعنى التواء الطريق الإبداعى فى دهاليز التجريد النظرى، وسنكتفى بنموذج واحد لهذا الهواء الذى يقتحم جسد الرواية ويفسد بداخلها، لأنه يتصل بمركز الثقل المعنوى فى معدة النص بما لايستطيع هضمه وتمثله وامتصاص غازاته، إذ يطرح بعد صفحات مطولة من